((المبحث الاول))

مفهوم الاخلاق

المطلب الاول

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً

تعريف الأخلاق لغة // الأخلاق جمع خلق، والخُلُق - بضمِّ اللام وسكونها- هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها (١) وقال الرَّاغب: (والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد... لكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة) (٢)

تعريف الأخلاق اصطلاحاً // عرَّف الجرجاني الخلق بأنَّه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا) (٣) وعرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة والفكر، ثم يستمر أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا) (٤) وقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في نظر الإسلام بأنها عبارة عن (مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه) (٥)

١- ((القاموس المحيط)) العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م عدد الأجزاء: ١ (ص٨٨١). ((لسان العرب)) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ (١٠/٨٦)

٢- ((مفردات ألفاظ القرآن الكريم)) الراغب الأصفهاني الناشر: دار القلم - الدار الشامية سنة النشر: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩(ص٢٩٧).

٣- ((التعريفات)) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) الناشر :دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة :الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م عدد الأجزاء :١ (ص١٠١).

٤- ((تهذيب الأخلاق)) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) الناشر :مكتبة الثقافة الدينية الطبعة :الأولى عدد الأجزاء :١ (ص٤١).

٥- ((التربية الأخلاقية الاسلامية)) لمقداد يالجين (ص٧٥) و((نظرة النعيم)) عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر :دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة :الرابعة عدد الأجزاء١١(١٢ ومجلد للفهارس) (ص٢٢).

تعريف علم الأخلاق وموضوعه

عُرِّف علم الأخلاق بعدة تعريفات منها:

اولاً // هو علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح(١)

ثانياً // وقيل هو علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضًا، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصد إليها الناس في أعمالهم، وينير السبيل لما ينبغي(٢) وعرّف بعض الغربيين علم الأخلاق بما يُوافق تعاريفنا لها، فمثلا في كتاب: "فلسفة الأخلاق"، لشخص يدعى (جكسون)، وهو أحد فلاسفة الغرب، عرّف علم الأخلاق فيه بقوله: (علمُ الأخلاق عبارةٌ عن التّحقيق في سلوك الإنسان على الصورة التي ينبغي أن يكون عليها) (٣) وللبعض مثل "فولكيه" رأي آخر في المسألة، حيث عرّفوا علم الأخلاق بأنّه: (مجموعة قوانين السّلوك التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يصل إلى هدفه) (٤) هذا هو كلام أُناس لا يعيرون للقيم الإنسانيّة أهميّة، والمهم عندهم الوصول إلى الهدف كيفما كان وكيفما اتفق، إذ الأخلاق عندهم ليست إلاّ وسيلةً تُمكّن الإنسان من الوصول إلى الهدف

موضوع الاخلاق:

هو كلُّ ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد(٥)

١- ((المعجم الوسيط)) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار) الناشر :دار الدعوة (١/٢٢٥).

٢- ((كتاب الأخلاق)) لأحمد أمين الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٠هـ ١٩٣١م (ص٢).

٣- فلسفة أخلاق لجكسون وهو احد فلاسفة الغرب، ص ٩

٤- الأخلاق النظريّة، عبدالرحمن بدوي الناشر وكالة المطبوعات الكويت ص ١٠

٥- ((موسوعة الأخلاق)) خالد بن جمعة بن عثمان الخراز الناشر :مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة :الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م عدد الأجزاء :١ (ص٢٢).

المطلب الثاني
أهميَّة الأخلاق

أولًا // الأخــلاق الحســنة امتثــال لأمــر الله ورســوله(١)

تضافرت النصوص من كتاب الله عز وجل على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ونصت على الكثير منها، فمن ذلك قوله تعالى **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ)** (٢) وقوله تعالى(**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين)** (٣) وقوله تعالى(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** (٤) وكذلك نهت عن الأخلاق المذمومة ومن ذلك قوله تعالى(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)** (٥)

ولما كان رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يمتثل أمر الله تعالى في كلِّ شأنه قولًا وعملًا، ويأتمر بكلِّ أخلاق حسنة ورد الأمر بها في القرآن، وينتهي عن كلِّ أخلاق سيئة ورد النهي عنها في القرآن؛ لذا كان خلقه القرآن. وأيضًا فإن الالتزام بالأخلاق الحسنة امتثال لرسول الله صل الله عليه وآله وسلم: فهو الذي يأمر بها ويحض عليها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صل الله عليه وآله وسلم (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) (٦)

١- موقع الدرر السنية https://dorar.net/akhlaq
٢- سورة النحل ايه ٩٠
٣- سورة الاعراف آية ١٩٩
٤- سورة الحجرات آية ٦
٥- سورة الحجرات آية ١١ و١٢
٦- رواه الترمذي (١٩٨٧) واحمد (٥/١٥٣) (٢١٣٩٢) قال الترمذي :حسن صحيح .وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع))(٩٧)

ثانياً // أنها سبب لمحبة الله تعالى

قال الله تعالى (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(١) وقال تعالى (وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)(٢) وقال سبحانه: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(٣) وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال ((كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس، فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم خلقا))(٤)

ثالثاً // أنها سبب لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاق)) (٥)

رابعاً // أنها من أعظم أسباب دخول الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)) (٦). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم، فأدخل الجنة)) (٧).والنصوص في حسن الخلق كثيرة، منها: أنها دليل كمال الدين، وأنها أثقل شيء في الميزان، وأنها عبادة يبلغ بها العبد درجات الصائم القائم. وأن صاحب الخلق من خيار الناس، وأنها من خير أعمال الإنسان، وأنها سبب تأييد الله ونصره.) (٨).

١- سورة البقرة آية ١٩٥
٢- سورة آل عمران آية ١٦٤
٣- سورة المائدة آية ٤٢
٤- رواه الحاكم (٤/ ٤٤١)، والطبراني في ((الكبير)) (١/ ١٨١). قال الهيثمي في ((المجمع)) (٨/ ٢٧): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٦/ ٩): رواته محتج بهم في الصحيح.
٥- رواه الترمذي (٢٠١٨)، وقال حسن غريب من هذا الوجه. وحسن إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٧٩١).
٦- رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وأحمد (٢/ ٤٤٢) (٩٦٩٤)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٨٩). قال الترمذي: صحيح غريب. وصحح إسناده الحاكم (٤/ ٣٦٠)، وقال البغوي في ((شرح السنة)) (١٣/ ٧٩): حسن غريب. وصححه الذهبي في ((التلخيص)).
٧- رواه مسلم (١٩١٤).
٨- ((موسوعة الأخلاق)) خالد بن جمعة بن عثمان الخراز الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م عدد الأجزاء: ١ (ص: ٣٣)

خامساً // أهميَّة الأخلاق في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ

الذي يظنُّ أنَّ الناس يدخلون في الدين فقط؛ لأنهم يقتنعون عقليًّا فقط، لا شك أنه مخطئ... وكثير) من الناس يدخلون في الدين؛ لأنهم يرون أنَّ أهل هذا الدين على خلق، وأن الدعاة إلى الله عندهم أخلاق، والشواهد في هذا الباب كثيرة... فالاستقامة على الأخلاق لها أثر كبير، ونفعها بليغ، ولا أدلَّ على ذلك مما جاء في السيرة النبوية من أنَّ أخلاق الرسول صل الله عليه وآله وسلم كانت محل إعجاب المشركين قبل البعثة، حتى شهدوا له بالصدق والأمانة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية(**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**) (١) قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم((أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) (٢وقد بدأ انعكاس الصور السلوكية الرائعة في تأثيرها في انتشار هذا الدين في بعض المناطق التي لم يصلها الفتح؛ إذ دخل في هذا الدين الحنيف شعوب بكاملها لما رأوا القدوة الحسنة مرتسمة خلقًا حميدًا في أشخاص مسلمين صالحين، مارسوا سلوكهم الرشيد، فكانوا كحامل مصباح ينير طريقه لنفسه بمصباحه، فيرى الآخرون ذلك النور ويرون به، وليس أجمل منه في قلب الظلام، وبناء على ذلك الإقبال سريعًا دون دافع سوى القدوة الحسنة، فَرُبَّ صفة واحدة مما يأمر بها الدين تترجم حية على يد مسلم صالح يكون لها أثر لا يمكن مقارنته بنتائج الوعظ المباشر؛ لأن النفوس قد تنفر من الكلام الذي تتصور أنَّ للناطق به مصلحة، وأحسن من تلك الصفات التمسك بالأخلاق الحميدة التي هي أول ما يرى من الإنسان المسلم، ومن خلالها يحكم له أو عليه...) (٣)

١- سورة الشعراء آية ٢١٤

٢-رواه البخاري (٤٩٧١) ومسلم (٢٠٨) وللفظ له

٣-((موسوعة الأخلاق)) خالد بن جمعة بن عثمان الخراز الناشر مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣ هـ - ٢٠٠٩م عدد الأجزاء: ١ (ص٣٩)

سادساً // أهمية الأخلاق في إضفاء السعادة على الأفراد والمجتمعات

لا شك أنَّ السعادة كلَّ السعادة في الإيمان بالله والعمل الصالح، وعلى قدر امتثال المسلم لتعاليم الإسلام في سلوكه وأخلاقه تكون سعادته، فـ (التزام قواعد الأخلاق الإسلامية كفيل بتحقيق أكبر نسبة من... السعادة للفرد الإنساني، وللجماعة الإنسانية، ثم لسائر الشركاء في الحياة على هذه الأرض وذلك بطريقة بارعة جدًّا؛ يتم فيها التوفيق بالنسب المستطاعه بين حاجات ومطالب الفرد من جهة، وحاجات ومطالب الجماعة من جهة أخرى، ويتم فيها إعطاء كل ذي حق حقه، أو قسطًا من حقه وفق نسبة عادلة اقتضاها التوزيع العام المحفوف بالحق والعدل فمن الواضح في هذا العنصر أن أسس الأخلاق الإسلامية لم تهمل ابتغاء سعادة الفرد الذي يمارس فضائل الأخلاق ويجتنب رذائلها، ولم تهمل ابتغاء سعادة الجماعة التي تتعامل فيما بينها بفضائل الأخلاق مبتعدة عن رذائله وروعة الأخلاق التي أرشد إليها الإسلام، تظهر فيما اشتملت عليه من التوفيق العجيب بين المطالب المختلفة للفرد من جهة، وللجماعة من جهة أخرى، وتظهر فيما تحققه من وحدات السعادة الجزئية في ظروف الحياة الدنيا، بقدر ما تسمح به سنن الكون الدائمة الثابتة، التي تشمل جميع العاملين، مؤمنين بالله أو كافرين، أخلصوا له النية أو لم يخلصوا(١)

١-(الاخلاق الاسلامية واسسها) لعبدالرحمن الميداني الطبعة الخامسة ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م دار القلم للطباعة والتوزيع دمشق (٨٢/)١

((المبحث الثاني))

طبيعة الاخلاق من حيث المضمون

المطلب الاول

مصادر الأخلاق الإسلامية

يمكن أن نجمل مصادر الأخلاق الإسلامية في مصدرين رئيسين، هما أعظم ما تُستمدُّ منه هذه الأخلاق؛ كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنة نبيه صل الله عليه وآله وسلم الصحيحة: فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق، والآيات التي تضمنَّت الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها كثيرة، منها قوله تعالى: **(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** (١) وقوله تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** (٢) إلى غير ذلك. ويدلنا على أصالة هذا المصدر أنَّ الرسول صل الله عليه وآله وسلم الذي وصفه الله عز وجل بالخلق العظيم تصفه عائشة رضي الله عنها بقولها: ((كان خلق الرسول صل الله عليه وسلم القرآن)) (٣) ومعنى ذلك كما يقول ابن كثير: (أنَّه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خلقًا له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين) (٤) والمصدر الثاني السنة النبوية: والمراد من السنة ما أضيف إلى النبي صل الله عليه وآله وسلم من أقوال وأفعال، وتقريرات، وتعتبر السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني للأخلاق، يقول الله تعالى: (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ**) (٥) وقال تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** (٦) وقال سبحانه: **(فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)** (٧) وقال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) (٨) قال إبراهيم الحربي: (ينبغي للرجل إذا سمع شيئًا من آداب النبي صل الله عليه وآله وسلم أن يتمسك به) (٩) (ولذا حرص الصحابة رضوان الله عليهم واهتموا اهتمامًا كبيرًا، وتخلقوا بالأخلاق الحسنة مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صل الله عليه وآله وسلم، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق) (١٠)

١- سورة النحل آية رقم(٩٠).
٢- سورة الاعراف آية رقم(٣٣).
٣- رواه مسلم في صحيحه (٧٤٦).
٤- ((الفصول في سيرة الرسول صل الله علية وسلم)) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين الناشر: مؤسسة علوم القرآن عدد المجلدات: ١ الطبعة الثالثة (ص٢٦٤). سنة النشر: ١٤٠٢ – ١٩٨١
٥- سورة الحشر آية رقم (٧).
٦- سورة الاحزاب آية رقم(٢١).
٧- سورة النساء آية رقم (٥٩).
٨- رواه: أحمد، ومالك، والبخاري في ((الأدب المفرد)) ، والحاكم، والبيهقي في ((الشعب)) ، وعند بعضهم: ((لأتمم صالح الأخلاق)).
٩- ((الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)) أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر, الناشر: مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤١٦ - ١٩٩٦عدد المجلدات:٢ الطبعة الثالثة (١/١٤٢).
١٠- ((موسوعة الأخلاق)) خالد بن جمعة بن عثمان الخراز مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة :الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م عدد الأجزاء :١ (ص٣١).

المطلب الثاني

خصائص الأخلاق الإسلامية

أولًا // الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر الأخلاق الإسلامية مصدرها كتاب الله وسنة نبيه صل الله عليه وآله وسلم، ولا مدخل فيها للآراء البشرية، أو النظم الوضعية، أو الأفكار الفلسفية. ولذا اتسمت الأخلاق الإسلامية بسمة الخلود والصدق والصحة.

ثانيًا // الشمول والتكامل من خصائص الأخلاق الإسلامية: أنها شاملة، ومتكاملة، وهي خاصية منبثقة من الخاصية الأولى، وهي الربانية، وذلك لأنها تراعي الإنسان، والمجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياته طبقا للتصور الإسلامي، تحدد أهداف الحياة وغايتها وما وراءها، وتشمل كافة مناشط الإنسان وتوجهاته، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هي أيضًا لا تقف عند حدِّ الحياة الدنيا.

ثالثًا // الأخلاق الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان لما كانت الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، كانت صالحة لجميع الناس في كلِّ زمان، وفي أيِّ مكان، نظرًا لما تتميز به من خصائص، فلا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان؛ لأنها ليست نتاجًا بشريًّا، بل هي وحي من الله تعالى لنبيه.

رابعًا // الإقناع العقلي والوجداني تشريعات الإسلام توافق العقول الصحيحة، وتتوائم مع الفطر السليمة، وتحصل القناعة الكاملة والانسجام التام مع ما أتت به الشريعة الإسلامية من نظم أخلاقية. فالأخلاق الإسلامية بها يقنع العقل السليم، ويرضى بها القلب، فيجد الإنسان ارتياحًا واطمئنانًا تجاه الحسن من الأخلاق، ويجد نفرة وقلقًا تجاه السيئ من الأخلاق(١).

خامسًا // المسؤولية الأخلاق الإسلامية تجعل الإنسان مسؤولًا عما يصدر منه في كلِّ جوانب الحياة، سواء كانت هذه المسؤولية مسؤولية شخصية، أم مسؤولية جماعية، ولا تجعله اتكاليًّا لا يأبه بما يدور حوله من أشياء، وهذه خاصية من خصائص أخلاقنا انفردت بها الشريعة الغراء. ونعني بالمسؤولية الشخصية: أن الإنسان مسؤول عما يصدر منه عن نفسه إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: **(كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)** (٢) ويقول تعالى: **(وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ)** (٣) ويقول تعالى: **(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** (٤)

١- (الأخلاق الاسلامية) حسن السعيد المرسي .مكتبة المتنبي - السعودية الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٢٧هـ ص(٥٣-٦٢) ونظرة النعيم عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر :دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة :الرابعة عدد الأجزاء١١(١٢ ومجلد للفهارس) (١/٨١)

٢- سورة الطور آية ٢١

٣- سورة النساء آية ١١١

٤- سورة الاسراء آية٣٦

فهذه الآيات وغيرها تبين لنا مدى المسؤولية التي تقع على عاتق الإنسان عما يصدره منه عنه نفسه. ويقول صل الله عليه وآله وسلم: ((... وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم)) (١)، يقول ابن حجر في شرح الحديث: (لا يلقي لها بالًا: أي: لا يتأمل بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظنُّ أنَّها تؤثر شيئًا) (٢)، فقبل أن تخرج الكلمة من فيك، أعط نفسك فرصة للتفكير، هل ما ستقوله يرضي الله أم يغضبه؟ هل تكون عاقبته خيرًا أم شرًّا؟ وطالما لم تخرج فأنت مالكها، فإذا خرجت كنت أسيرها، وإذا كان هذا في الكلام ففي سائر التصرفات من باب أولى. ونعني بالمسؤولية العامة (الجماعية): تلك المسؤولية التي تراعي الصالح العام للناس، فلا يكون الرجل إمعة متكاسلًا، أو سلبيًّا بل عليه أن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان)) (٣)

سادسًا // العبرة بالظاهر والباطن من الأعمال معًا أخلاقنا الإسلامية لا تكتفي بالظاهر من الأعمال، ولا تحكم عليه بالخير والشر بمقتضى الظاهر فقط، بل يمتدُّ الحكم ليشمل النوايا والمقاصد، وهي أمور باطنية، فالعبرة إذًا بالنية، يقول رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)) (٤) والنية هي مدار التكليف، وعلى ذلك فالإسلام يراعي نية الإنسان في الحكم على عمله الظاهر.

سابعًا // الرقابة الدينية الرقابة: تعني مراقبة المسلم لجانب مولاه سبحانه في جميع أمور الحياة. وعلى هذا فإنَّ الرقابة في أخلاقنا الإسلامية لها مدلولها المستقلُّ والمختلف عن الرقابة في مصادر الأخلاق الأخرى، حيث تكون رقابة خارجية من الغير تتمثل في رقابة السلطة، والأفراد. أما الرقابة في الإسلام فهي رقابة ذاتية في المقام الأول، وهي رقابة نابعة من التربية الإسلامية الصحيحة، ومن إيقاظ الضمير، فإذا كان المسلم يعلم أنَّ الله معه، وأنَّه مطلع على حركاته وسكناته، فإنَّه يكون رقيبًا على نفسه، ولا يحتاج إلى رقابة الغير عليه، يقول تعالى:(**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**) (٥) ، ويقول سبحانه:(**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**) (٦) ، ويقول عز وجل: (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**) (٧)، فإذا قرأ المسلم هذه الآيات، وعرف معناها فإنَّه حينئذ يتيقن أنَّه إذا تمكن من الإفلات من رقابة السلطة، فإنَّه لن يتمكن من الإفلات من رقابة الله، وهذا في حدِّ ذاته أكبر ضمان لعدم الانحراف والانسياق إلى الأخلاق المذمومة

١- أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه، ومالك في الموطأ(٦٤٧٨)
٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ عدد الاجزاء ١٣ (١١/٣١١)
٣- رواه مسلم من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه(٤٩)
٤- أخرجه ابن ماجه في السنن، بَابُ النِّيَّةِ، رقم(٤٢٢٧) وذكره ابن المبارك كما في الزهد والرقائق، بَابُ الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّة (٦٢/١)
٥- سورة الحديد آية٤
٦- سورة طه آية٧
٧- سورة النساء آية١

ثامنًا // الأخلاق الإسلامية ترتبط بالجزاء الدنيوي والأخروي أخلاق الإسلام ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجزاء، سواء في الدنيا أو الآخرة، لذا وُجد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب. فالأخيار من الناس: جزاؤهم عظيم في الدنيا والآخرة: ومن ذلك ما أعده الله لهم في الآخرة كما في قوله تعالى: (**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (١). وكذلك ما وعدهم الله به في الدنيا من الجزاء العاجل، قال تعالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)** (٢) ، وقال سبحان وتعالى أيضًا: (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**) (٣). وأما الأشرار من الناس فقد توعدهم الله عزَّ وجلَّ كما في قوله تعالى:(**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**) (٤) وأما جزاؤهم في الدنيا فمثاله قوله تعالى: **(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)** (٥)

١- سورة التوبة آية رقم ٧٢
٢- سورة اطلاق آية رقم ٢-٣
٣- سورة الزمر آية رقم١٠
٤- سورة الحج آية رقم ١٩- ٢٢
٥- سورة النحل آية رقم ١١٢

((المبحث الثالث))

أثر الأخلاق

المطلب الاول

آثر أخلاق النبي محمد(صل الله عليه وآله وسلم) على سلوك الفرد والمجتمع

إن للأخلاق في دين الإسلام شأن عظيم ومكانة عالية حيث دعا الإسلام المسلمين إلى التحلي بها وتنميتها في نفوسهم لأنها أحد الأصول الأربعة التي يقوم عليها دين الإسلام ، الإيمان والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، ولذا نالت العناية الفائقة الكبرى والمنزلة العالية الرفيعة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وهناك ارتباط وثيق بين الأخلاق والإيمان، وكل عمل يقوم به العبد المسلم يحتاج إلى الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة ولاشك أن من فقد الإيمان والتقوى فقد فقد تلك الأخلاق ، وكلما كان المؤمن أكمل أخلاقاً كان أكثر إيماناً، والالتزام بمكارم الأخلاق فيه تقوية لإرادة الإنسان وتمرينها على حب الخير وفعله والبعد عن الشر وتركه ، وبذلك تتحقق سعادة القلب .، وعلى رأس تلك الأخلاق : الصدق ، الصبر ، الأمانة ، التواضع وغيرها ولنا في رسول الله صل الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة في التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات الحسنة والتي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والأمة بل إن الأخلاق الكريمة تدعو إليها الفطر السليمة، والعقلاء يجمعون على أن الصدق والوفاء بالعهد والجود والصبر والشجاعة وبذل المعروف أخلاق فاضلة يستحق صاحبها التكريم والثناء، وأن الكذب والغدر والجبن والبخل أخلاق سيئة يذم صاحبها. والدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإخلاص العمل له وإلى دينه تحتاج إلى الأخلاق الحميدة، والصفات الحسنة، ويصعب توفر تلك الأخلاق فيمن يفقد الإيمان والتقوى، ورسول الله صل الله عليه وآله وسلم وأصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أفضل من دعا إلى الله تعالى بأخلاقهم الإسلامية الحميدة وصفاتهم الحسنة ، قال الله تعالى **(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود)** (١) فحاجة المؤمن إلى الاقتداء بهم كحاجته إلى الطعام والشراب بل أشد، وأهداف العقيدة السليمة يرأسها دعوة العبد إلى التحلي بالأخلاق الحسنة ليفوز بسعادة الدارين، فالعقيدة هي التي تقود العبد ، فإذا صحت العقيدة وكمل الإيمان حسنت الأخلاق والعكس يؤدي به إلى التخلق بالأخلاق السيئة والأفعال القبيحة(٢).

١- سورة محمد آية ٢٩

٢- من الانترنت موقع بحوث http://bohoutmadrassia.blogspot.com/2014/03/blog-post_4061.html

عن أبي هريرة أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم قال : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)) متفق عليه وقد يتصور بعض الناس أن حسن الخلق محصور في الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة فقط، والحقيقة أن حسن الخلق أوسع من ذلك فهو يعني إضافة إلى الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة ، التواضع وعدم التكبر ولين الجانب، ورحمة الصغير واحترام الكبير ، ودوام البشر وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة وإصلاح ذات البين والتواضع والصبر والحلم والصدق وغير ذلك من الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة التي حث عليها الإسلام ورغب فيها. إن أي مجتمع لا يمكن أن يعيش أفرادها بأمان وانسجام ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية؛ لأن بها يتم إصلاح الفرد الذي هو الخطوة الأولى في إصلاح المجتمع كله(١).

وان لأخلاق النبي محمد (صل الله علية وآله وسلم) على سلوك الفرد والمجتمع اثر كبير أما أثرها في سلوك الفرد فلما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة، والصدق، والعدل، والأمانة، والحياء، والعفة، والتعاون، والتكافل، والإخلاص، والتواضع.. وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح، يقول تعالى**(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)** (٢) ويقول سبحانه **(قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)** (٣) والتزكية في مدلولها ومعناها: تعني: تهذيب النفس باطنًا وظاهرًا، في حركاته وسكناته(٤) واما أثرها في سلوك المجتمع كلِّه، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية، يقرر ذلك قوله تعالى**(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)** (٥) فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعًا محصنًا لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامنًا في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلميَّة، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها(٦)

١- من الانترنت موقع بحوث http://bohoutmadrassia.blogspot.com/2014/03/blog-post_4061.html
٢- سورة الشمس آية (٩ و١٠)
٣- سورة الاعلى آية (١٤و١٥).
٤- (خلق المسلم) لمحمد الغزالي دار النشر :نهضة مصر سنة النشر١٩٨٧ (ص ١٥).
٥- سورة العصر آية (١ و٢ و٣).
٦- (الأخلاق الاسلامية) حسن السعيد المرسي .مكتبة المتنبي - السعودية الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٢٧هـ (ص٢٦).

المطلب الثاني

اثر اخلاق النبي محمد(صل الله عليه وآله وسلم) على سلوك الاسرة المسلمة

من أعظم دعائم السعادة في البيوت المسلمة أن يكون القرآن أنيسها حفظًا وتلاوة وتطبيقًا، فالقرآن يرقق القلوب ويهذب الأخلاق، ويبعث المودة، ويطهر البيوت من الرجس والشرور ويلقى على البيوت المسلمة برداء الحفظ والتحصين.

فما أحوج البيوت المسلمة السعيدة أن يكون خلقها القرآن تتأدب بآدابه وتهتدى بهديه، وتلجأ إلى رحابه في آلامها وأحزانها(١).

ولقد ثبت عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ذلك في وصف النبي صل الله عليه وسلم، فقد جاء في حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، وأتى عائشة رضى الله عنها يسألها عن بعض المسائل، فقال: ((فَقُلتُ : يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ، أَنبئِنِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّ اللَّهُ عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ ؟ قَالَت : أَلَستَ تَقرَأُ القُرآنَ؟ قُلتُ : بَلَى . قَالَت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِي اللَّهِ صَلَّ اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَانَ القُرآنَ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَن أَقُومَ وَلَا أَسأَلَ أَحَدًا عَن شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ ...الخ)) (٢) وفى رواية أخرى ((قُلتُ: يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ، حَدِّثِينِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّ اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. قَالَت: يَا بُنَى أَمَا تَقرَأُ القُرآنَ؟ قَالَ اللَّهُ : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} خُلُقُ مُحَمَّدٍ القُرآنُ)) (٣) وإن ما يميز المرأة الصالحة التي وصفها النبي صل الله عليه وآله وسلم بأنها خير متاع الحياة الدنيا أنها تأخذ أخلاقها من القرآن، وتكون المُثُل التي تحتذيها، والفضائل التي تتحلّى بها فضائل قرآنيّة.

إنّ المرأة المسلمة يجب أنْ تتميَّز بأخلاق تنبع من القرآن، كل محاسن الأخلاق التي دعا إليها القرآن، ومن ذلك قال تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)** (٤)

١- نص الموضوع من الانترنت موقع جريدة الفتح اليوم http://alfathalyom.com/index.php

٢- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٥ (٧٤٦).

٣- أخرجه أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، القاضي أبو يعلى البغدادي الحنبلي، المعروف بـ ابن الفراء. وهو أحد فقهاء الحنابلة في العصر العباسي الثاني. ولد سنة ٣٨٠ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ. والفراء نسبة إلى خياطة الفراء وبيعها. واشتهر بعد ذلك: بالقاضي أبي يعل (٢٧٥/٨) بإسناد صحيح.

٤- سورة الحجرات آية١١-١٢.

إن التحلي بالخلق القرآني يجنب الأسرة المسلمة السعيدة سخرية الرجال من الرجال، وسخرية النساء من النساء، واللمز والتنابز بالألقاب والظلم والظن والتجسس والغيبة والنميمة، فتأمل أي سعادة تحل على الأسرة المسلمة إذا تخلصت من هذه الأخلاق واستبدلتها بالمحبة وتقدير الآخرين والتواضع والاحترام واجتناب الظن والغيبة والنميمة وغيرها من الأخلاق التي تقف حاجزًا بينها وبين السعادة. وقال تعالى **(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** (١) فالأخلاق القرآنية تعود الأسرة المسلمة على العطاء والإحساس بمعاناة المعدمين والمحتاجين وتحولها من أسرة مغلقة منعزلة إلى أسرة مندمجة في مجتمع طيب متراحم لا يتخلى بعضه عن بعض في الشدائد وأوقات العسر. وقال تعالى**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)** (٢) ومعلوم ما يفعله الصدق في البيوت فهو يبعث الثقة بين الزوجين وأولادهم وينشئ جيلا صادقًا طيبًا لا يعرف الكذب ولا المراوغة. ويأخذنا القرآن إلى كنوز من الأخلاق الربانية القرآنية مثل غض البصر وحفظ الفرج والاستئذان على الآخرين والوفاء بالعهد والعدل والرحمة في المعاملة كما في كثير من الآيات القرآنية المضيئة بنورها في دروب المؤمنين. يقول تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ)** (٣) **(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)** (٤)**(وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)** (٥) **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً)** (٦) **(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)** (٧)

١- سورة آل عمران آية ١٣٣- ١٣٤.
٢- سورة التوبة آية١١٩.
٣- سورة النور آية ٢٧- ٢٨.
٤- سورة النور آية ٣١.
٥- سورة الإسراء آية ٣٤.
٦- سورة الإسراء آية٢٦- ٢٧.
٧- سورة المائدة آية ٨.

والحقيقة أنّ القرآن تحدث عن كثير من الأخلاق التي يجب الأخذ بها، والعديد من الفضائل الكريمة التي ينبغي على المسلم والمسلمة التحلي بها، ممّا لا مجال لحصره، ذلك أنّ دائرة الأخلاق الإسلامية واسعةٌ جدًا، فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره. ويتضح جليا من خلال النصوص أنّ الأخلاق لها مكانتها العظيمة في الدين، حيث يقول الرسول الكريم صل الله عليه وآله وسلم: (إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق) (١) ويقول:(إنّ أحبّكم إلى وأقربكم منِّى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) (٢) وفى حديث آخر نفى الإيمان عمّن تجرّد من الأخلاق:(لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) (٣) وكذلك قال صل الله عليه وآله وسلم: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمنُ جارُه بوائقه) (٤) أي لا يجتمع خُلقٌ رديء من الإيمان.

وإنّ المرأة المسلمة بأخلاقها الربانية لا يمكن أن تنفصل أخلاقها عن إيمانها، بل إنّ أخلاقها تنبئ عن ذلك الإيمان، فلا تفعل إلّا خيراً لنفسها وللآخرين، وأينما وُضعت ظهرت آثارها وثمارها الطيبة إصلاحاً بين الناس وبذلاً للمروءة لهم، مَنْ تعرفهم ومن لا تعرفهم، سماحة وكرم وإحسان ونبل ورحمة ومودة ومؤازرة. ثم صبر وجلَد وتحمُّل وأناة ورفق وثبات وتواصل وعطاء بلا انقطاع. قولٌ طيّب، ولسان ذاكر، وكلمةٌ لا تحمل إلا الخير، كالبلسم على الجراح وكالماء على النار. ما دامت هذه المسلمة مرتبطة بالقرآن وبأخلاق القرآن فإنك تستطيع أن تميُّز شخصيتها من بين الكثيرات إذا رأيت فِعالها أو سمعت أقوالها فتعلم أنّها لا يمكن إلا أن تكون مسلمة لأنّ أخلاقها قرآنيّة.

ومما ينبغي أن يعلم علم اليقين أن لهذه الأخلاق القرآنية الربانية في البيت المسلم ثمار في الدنيا والآخرة وشجرة للسعادة تنعم الأسرة بثمارها وتجتنى من جناها في كل وقت وحين، فالأخيار من الناس: جزاؤهم عظيم في الدنيا والآخرة: ومن ذلك ما أعده الله لهم في الآخرة كما في قوله تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** (٥) وكذلك ما وعدهم الله به في الدنيا من الجزاء العاجل، قال تعالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)** (٦) وقال أيضًا: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)**(٧)

١- لسنن الكبرى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م١٠/١٩١

٢- صحيح الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م عدد الأجزاء: ٣٧٠/٥٤.

٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ومجلد فهارس(٤٢٢/١ رقم ١٩٤).

٤- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٢٢٤٠/٩٥ رقم ٥٦٧٠.

٥- سورة التوبة آية ٧٢

٦-سورة الطلاق آية ٢-٣

٧- سورة الزمر آية١٠

المطلب الثالث

اخلاق النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) مع زوجاته وبناته

فقد أثنى الله تعالى على نبيه صل الله عليه وآله وسلم بحسن خلقه فقال**(وإِنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عظيم)** وأمره سبحانه بمحاسن الأخلاق فقال **(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوةٌ كأنَّه ولىٌّ حميم)** وجعل جل وعلا الأخلاق الفاضلة سبباً تُنال به الجنة فقال **(وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين الذين ينفقون في السَّراء والضَّراء والكاظمين الغيظَ والعافينَ عنِ النَّاس واللهُ يُحبُ المحسنين)** وبعث رسوله صل الله عليه وآله وسلم بإتمامها فقال عليه الصلاة والسلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وبين صل الله وآله عليه وسلم فضل محاسن الأخلاق فقال (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) وقال (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقا) وسئل صل الله عليه وآله وسلم عن أي الأعمال أفضل فقال (حسن الخلق ولما سُئِل عن أكثر ما يُدخل الجنة قال : تقوى الله وحسن الخلق) فإذا كان الدين هو حسن الخلق فالواجب على كل من آمن بالله واليوم الآخر وآثر نجاة نفسه أن يتعرف على هذا المعنى الجليل وأن يلتزم به(١).

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان من ذَكَر وأنثى، وأن تكون إحدى سُنَنِه وآياته التزاوجَ بين هذين الجنسين، فقد قال تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (٢) فالسكينة والرحمة والمودَّة من أعظم آيات الله في الزواج، وكانت حياة رسول الله صل الله عليه وآله وسلم الزوجيَّة تطبيقًا لهذه المعاني القرآنيَّة؛ لذلك نجده صل الله عليه وآله وسلم يُكثر من وصية أصحابه بالمرأة، ويحثُّ الأزواج أن يعاملوا أزواجهم معاملة حسنة مستمدَّة من آية الزواج القائمة على المودَّة والرحمة، فيقول رسول الله صل الله عليه وآله وسلم (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي) (٣) وصح عنه صل الله عليه وآله وسلم أنه قال (حُبب إلى من دنياكم : النساء والطيب، وجعلت قُرة عيني في الصلاة) (٤) وحياة محمد صل الله عليه وآله وسلم في بيته رائعة في بشريتها فلقد كان يعيش بين أزواجه رجلاً ذا قلب وعاطفة ووجدان أمثلة وصورًا رائعة من خلال عَلاقته مع زوجه؛ فتجده أوَّل مَنْ يواسيها، يُكَفْكف دموعها، يُقَدِّر مشاعرها، لا يهزأ بكلماتها، يسمع شكواها، ويخفِّف أحزانها؛ فكان مثالاً يُحتذى، وقدوة حسنة يستفيد منها البيت المسلم على مرِّ القرون والأزمان؛ فعن أنس أنه قال (بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي.فبكت فدخل عليها النبي صل وآله الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال لها: "مَا يُبْكِيكِ؟"فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي. فقال النبي صل الله عليه وآله وسلم (إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟ (ثم قال: "اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ)(٥)

١- مقدمة في الاخلاق للدكتور سعيد عبدالعظيم موقع مقالات http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=39375

٢- سورة الروم آية٢١

٣- صحيح الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م عدد الأجزاء: ٥- ص ٣٨٩٥

٤- رواه النسائي (٣٩٣٩) من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه - .وصححه الحاكم (٢ / ١٧٤) ووافقه الذهبي ، وصححه الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (٣ /١٥) و (١١ / ٣٤٥).

٥- صحيح الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م عدد الأجزاء: ٥- ص ٣٨٩٤

كما وصفت السيدة عائشة - رضي الله عنها- حال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم كزوج داخل بيته، (فقد كان صل الله عليه وآله وسلم يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ) (١) فكان تعامله مع زوجاته من منطلق الرحمة والحب، كما أنه تعامل أيضًا من منطلق أنه بشر مثل باقي البشر الأسوياء، الذين لا يَرَوْنَ غضاضة في مساعدة أزواجهم. ومن عظيم محبَّته لهن -رضي الله عنهن- أنه صل الله عليه وآله وسلم كان يشاركهن المأكل والمشرب من نفس الإناء، فعن عائشة – رضي الله عنها- أنها قالت (كُنْتُ أَشْرَبُ فَأُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صل الله عليه وآله وسلم ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فيَّ) (٢) وكان يخرج معهن للتنزُّه لزيادة أواصر المحبَّة وكان كثيرًا ما يمتدح زوجاته، فها هو ذا رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يمتدح عائشة -رضي الله عنها- قائلاً (إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)(٣) كما تجلَّت رحمته ورأفته صل الله عليه وآله وسلم على زوجاته حينما دخل على زينب بنت جحش- رضي الله عنها- فوجد حبلاً ممدودًا بين الساريتين، فقال(مَا هَذَا الْحَبْلُ؟." قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلَّقت. فقال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم لا، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ) (٤) وكثيرًا ما يحلُم رسول الله صل الله عليه وآله وسلم على زوجاته، ويقابل جفوتهن بصدر رحب، وبشاشة وحُبٍّ. كما كان رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقابل غَيرة زوجاته مقابلة فيها كثير من الحلم والأناة، وإعطاء كل زوجة حقَّها من التقدير والاحترام، فها هي ذي عائشة -رضي الله عنها- تغار من كثرة ذكر الرسول لخديجة- رضي الله عنها- وشدَّة حُبِّه لها، رغم وفاتها قبل أن يتزوَّج رسول الله صل الله عليه وآله وسلم عائشة، فتقول –رضي الله عنها- في ذلك (ما غِرْتُ على أحد من نساء النبيِّ صل الله عليه وآله وسلم ما غِرْتُ على خديجة قطُّ، وما رأيتُها قطُّ، ولكن كان يُكثر ذِكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يُقَطِّعها أعضاءَ، ثم يَبْعَثُها في صدائق خديجة، وربما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلاَّ خديجة. فيقول إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ) (٥)

١- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ))الناشر دار الصديق للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م عدد الاجزاء:١- ص٤١٩

٢- صحيح سنن النسائي - ضعيف سنن النسائي أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن/ الألباني الناشر: مكتبة المعارف سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٩ عدد المجلدات: ٤ الطبعة الاولى - ص ٣٧٨

٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)الناشر :المكتب الإسلامي عدد الأجزاء :٢ - ص ٤٥٧٨

٤- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩ - ص ١١٥٠

٥- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩ - ص ٣٨١٨

ورغم ما كان يجد النبي صل الله عليه وآله وسلم في بعض الأوقات من نسائه، إلاَّ أنه لم يضرب امرأة له قطُّ كما قالت عائشة رضي الله عنها مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صل الله عليه وآله وسلم امْرَأَةً لَهُ قَط بل كان يواسيها عند بكائها لأي سبب من الأسباب كما أشرك النبي صل الله عليه وآله وسلم زوجاته في مواقف عظيمة كثيرة، وأحداث تهمُّ الأُمَّة بأجمعها، ففي يوم الحديبية أمر رسول الله صل الله عليه وآله وسلم أصحابه أن ينحروا الهدي ثم يحلقوا، فلم يفعل ذلك منهم أَحد، وردَّد ذلك صل الله عليه وآله وسلم ثلاث مرَّات دون أن يستجيب أَحد إلى أمره، ولمَّا لم يستجب أَحد إلى أمره، دخل رسول الله صل الله عليه وآله وسلم على زوجه أم سلمة-رضي الله عنها-، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا نبي الله، أتحبُّ ذلك، اخرج لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلمَّا رأَوْا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل غمًّا، ورغم خطورة هذا الموقف إلاَّ أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم استحسن رأي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، فكان خيرًا وبركة على الأُمَّة كلها. والناظر إلى سيرته صل الله عليه وآله وسلم يجد أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم كان يُقَدِّر أزواجه حقَّ التقدير، ويُولِيهم عناية فائقة ومحبَّة لائقة، فكان نِعْمَ الزوج صل الله عليه وآله وسلم كان النبي صل وآله الله عليه وسلم حريصا على القيام بحقوق زوجاته المادية والمعنوية، من نفقة، ومسكن، ومبيت، ومأكل، وملبس، ونحوه مما تحتاجه الزوجة، عملاً بقول الله تعالى**(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)** وقد روي عنه أنه قال(إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أُجر، وبشر المسلمين بعظيم ثواب الإنفاق على الأهل فقال أعظم الصدقة دينار تنفقه على أهلك) (١) وكان يمازح زوجاته ليدخل السرور إلى قلوبهن وكان يتفقد زوجاته، ويرعاهن، ويؤنسهن، ويتلطف بهن، ويعلمهن أمور دينهن، وينصحهن، ويوجههن إلى سبيل الخير، فقد أرشد عائشة إذا رأت ليلة القدر أن تدعو فتقول اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.وهو بعد كل هذا يحذر من تضييع الأهل، أو التقصير في القيام باحتياجاتهن ومطالبهن فيقول(كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) (٢)

١- إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل محمد ناصر الدين الألباني(المتوفى: ١٤٢٠هـ) سنة النشر: ١٣٩٩ – رقم الطبعة: ١ ١٩٧٩ عدد المجلدات: ٩ ص ٤٠٧/٣

٢- أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، (٦٩٢/٢)، رقم: (٩٩٦)